

العصر هو أفكاره

كلنا يعلم أن -- العصر هو أفكاره و ليس التاريخ الزمني المعلق على حائط اللوح المحفوظ ، فالأفكار هي التي تصنع عصرها و ما على الإنسان الفرد إذا أراد أن يكون ابن عصره إلا أن يتفاعل مع تلك الأفكار ، فيتمثل جوهرها في عقله ثم ينطلق من ذلك الجوهر إنطلاقاً إبداعياً قابلاً أو رافضاً و لكنه في كلا الحالتين يكون ابن تلك الحركة الواعية التي إستبطنت الجوهر الفكري لعصرها و إنطلقت منه في رحلة تطويرها و إرتقائها. و ليس ضرورة للإنسان الفرد إذا ما تواجد في عصر معين تواجداً زمنياً أن يكون ابن ذلك العصر . لأن شرط الإنتماء شرط فكري، و شرط التواجد شرط نفسي حضاري لا فيزيولوجي جسماني

بناءً على هذه المقولة نفهم كيف نتواجد جسدياً و إستهلاكياً في عصر الأليكترون و اللايزر و الكمبيوتر و نفسياً في ذروة عصر الجاهلية . إنتماؤنا للقبيلة و الطائفة و ليس للمجتمع و الوطن و الإنسانية ، ننصر أخانا ظالماً أو مظلوماً . ونقف أدبياً و فكرياً تحت سقف عنتريات الزجالين و ليالي الشرق العتيقة التي كلها خدر و حشيش و نعاس و أحلام تطارد الجواري «المطهرات من الطمث» في زواريب جنة عدن. و الغلمان المردي في دهاليز الأعراف و أنهار الخمر التي نستحم بها عراة مع « الحور العين » و نغرف سلافها بدون مكيال أو قسطاس.

نفهم كيف نتواجد في عصر المرسيديس المكيفة و ثياب السينييه إلى جانب " الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر " الذي يدق أبواب البيوت بخيزرانتة أمراً بالنهوض إلى الصلاة و عادة ما تكون أوامره مؤطرة بسيل من السباب و الشتائم و عبارات تتهم بالكفر و الزندقة أو الأحاسيس الدونية و القرف و الغثيان نتيجة الإنتماء إلى أديان أخرى . نفهم كيف نتواجد في عالم عربي طلابه الجامعيون يناهز عددهم المليون طالب كلهم يحفظون المعرفة التي أنتجها الآخرون و لا يحق لواحد منهم أن يكون له تفكيره الإبداعي الذاتي لأن الإبداع في بلادنا خروج عن مبدأ الرضى و التسليم نهاية العلم و التعليم . هذا المبدأ الذي أعادنا إلى عصر عبادة " الطوتم " عند شعوب ما قبل التاريخ. و ليت الطوتم هنا جسد امرأة عاري كان للعبادة ما يبررها " بنظر فرويد على الأقل " و لكن الطوتم هو « السلف الصالح » الذي يتوجب علينا أن نعيد تجربته الحياتية حرفاً حرفاً و فاصلة فاصلة . و إذا أهملنا أو أسقطنا إحدى النقاط سهواً كنا زنادقة نتظاهر بالطاعة و نستبطن المعصية . نتظاهر بالفضيلة و نستبطن السفاحة.

ما أريد أن أقوله صديقي القارىء و بكلام صريح و طيب و إن كان لطيبته و صراحته خشن الملمس . بأن المليون جامعي عندنا يشبهون إلى حد بعيد ذلك الحمار الذي يحمل ذهب سيده على ظهره لأنه كلفه بنقله من مكان إلى مكان و عندما ينفذ مهمته يكافأ على عمله المجيد بمخلاة من الشعير . طلابنا يحفظون حضارة الغرب لكن غير مسموح لهم أن يتفاعلوا معها ، لأن التفاعل في ضميرنا الأخلاقي نقصا في أمانة حمل الوديعة. وكذلك غير

مسموح لهم بتجاوزها لأن تجاوز حضارة الغرب في ظلام أنظمتنا المنذورة لمهمة المحافظة بأقصى حماية الشرف العربي على تلك الحضارة يقابل بالذبح على الهوية الطائفية أو بالسحل على الهوية الأيديولوجية أو يقطع الأرزاق على سنة إستبدال العامل العربي الذي لا يريد أن يركع على درج العتبات المقدسة بالعامل الهندي الذي يغتسل ببول بقرة السماء و يحلم بالنرفانا التي تريه بوذا مجسداً بشكل فيل أبيض . أو العامل الفيليبيني الناعم البشرة و المسمى بالعامية الفصحى " غلام أغيد " يذكر حكمانا في وادي الذهب الأسود و العقل الأبيض بأمجاد أسلافهم في بغداد أبي نواس و قرطبة ابن زيدون و نيسابور عمر الخيام.

نفهم كيف نعيش في عصر إستباحة كرامة الإنسان و حقه في التفكير و_التعبير ثم نمارس تحجيب النساء مخافة أعين الذكور الفحول وتعليم الرجال على نمطية سلوك جماعي سواء في الصلاة إذا صلوا أو في المظاهرات إذا تظاهروا أو في الهتافات إذا هتفوا أو بالسفر عبر قطار الحشيش البعلبكي و الأفيون الهرملي إذا ملوا المقام " كما فعل المعري يوماً " .

نمطية السلوك الجماعي لعنة جديدة من لعنات هذا الشرق العتيق تصادر حرية الإنسان الفرد الذي هرب من حظيرة المذهب السلفي لتعيده إلى حظيرة لها أسماء جديدة مأخوذة كشعارات من العصر الحديث و لكن كما بدأنا الحديث نختمه بأن العصر هو أفكاره و ليس الملصقات.العصر هو نمطه العقلي المميز و ليس الشعارات التي نلوكها كما يلوك اليمني قاته و الأمريكي علكته و الإنكليزي غليونه . العصر صديقي القاريء إنسان ينفعل و يفعل و يناقش و يحاور ، يتكلم و يصغي،يحلل و يستنتج وليس ذلك الأنسان الذي لا هو في غير الغرب ولا في نفير الشرق " كحمار النور " يلتقطه كل ذي حاجة ليقضي به حاجته ثم يعود ليرميه على قارعة طريق التشرذ من جديد.

كمال يوسف سري الدين

جموح

حَتَّامٌ تَجْذِبُنِي الْغَوَانِي وَ أَجْمَحُ وَ يَصِدَّنِي عَنْهَا الضَّمِيرُ فَأُكْبِحُ
وَ لَقَدْ أَتَوَقُّ إِلَى الْجَمَالِ مُدَلِّهَاً فَالْقَلْبُ يَهْفُو وَ الْهَوَى يَتَرَنَّحُ
وَ يَهيجُنِي لَمَعُ الدَّمُوعِ بَعِينِهَا وَ يَعِينُنِي مَرِحِي فِقَلْبِي يَمْرَحُ
يَا مَنْ يَعْذِبُنِي بِمَبْسَمِ ثَغْرِهِ وَ بَزْهَوِ صَدْرٍ جَيْبِهِ مَتَفْتَحُ
يَسْطُو عَلَيَّ بَغْنَجَهُ وَ دَلَالَهُ وَ رَخِيمِ صَوْتٍ بِالْغِنَاءِ يَرِنْدَحُ
بَاتَتْ تَذَكْرُنِي اللَّيَالِي أَنِّي كَهْلٌ وَ أَيَّامِ الصَّبَا تَتَزْحَرِحُ
فَعَلِمْتُ أَنِّي جَاهِلٌ لَا يَرْعَوِي مَتَبَرَّحٌ فِي بُوْءَسِهِ لَا يَبْرِحُ
وَ عَلِمْتُ أَيَّامِي تَكْلَحُ وَجْهَهَا وَ بَغْصَتِي وَ جِهَ الزَّمَانِ مَكْلَحُ
فَجَمَحْتُ فَوْقَ جَوَادِ فِكْرٍ رَافِضٍ وَ مَشَاعِرِي بِالرَّفْضِ دَوْمَا تَجْمَحُ